مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: القبس
التاريخ: ١٩٧٨/٦/١٠

سيادة الرئيس .. لم نعد نفهمك [٢]

كانت السياسة مليئة بالمفاجآت ثم صارت المفاجآت .. سياسة!

عندما كان بيغن يؤكد منذ البداية انه يحتاج الى ثلاثة شهور ((لانهاء)) المحادثات مع مصر ، انصرفت الاذهان تلقائيا الى الناحية الايجابية . ولأننا كعرب نحب أن نصدق ما نتمناه لا ما نراه ونلمسه ، فقد توهمنا جميعا — وفي مقدمتنا القيادة المصرية — أن اسرائيل ستستجيب الى مبادرة السلام خلال تلك المهلة ...

لكن بيغن كان يعني شيئا آخر .
كان يرمي الى ((انهاء)) المحادثات بمعنى الاجهاز عليها ، وتدميرها ، وامتصاص آثارها ونثر رمادها في عيون الجميع .

وبالفعل ، لم تعش المبادرة واقعيا أكثر من شهرين : من ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، تاريخ زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة والى ١٩ يناير ١٩٧٨ تاريخ انسحاب محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية على رأس وفد مصر ، من محادثات اللجنة السياسية في القدس المحتلة ، تنفيذا لتعليمات من حكومته بالعودة فورا الى القاهرة .

وهكذا تمكنت اسرائيل ، في غضون شهرين ، من الالتفاف على المبادرة ، وتحويل مجراها ، وحصرها في أضيق طريق معتم ، والانقضاض عليها وتعريتها ، ونهش لحمها الطري وانتهاك كل مضامينها .

وهكذا كان شهر يناير شديد الوقـــع على نفسك يا سيـــادة الرئيس . واخذت احاديثك عـــن اسرائيل ومواقفها السلبية تنضح بالمرارة . وفي أول حديث لك الى صحيفة اسرائيلية أبلغت ((الجيروزاليم بوست)) انك ((لست نادما على ما فعلت رغم اننا نسير نحـــو المجهول)) واضفت انه ((بزيارتي للقدس حصلتهم على كل شيء ، في الوقت الذي تبدأون الآن في اجراء المساومات معي حول أرضي . لقد ضيعتم جوهـــر مبادرتي بذلك المنطق الذي لاحظته عند بيغن وغيره مـــن المسؤولين الاسرائيليين)) ..

وبعد اصدار أوامرك الى الوفد المصري بقطع المحادثات في اللجنة السياسية والعودة فورا الى القاهرة ، بدأت تدرك ـــ ولأول مرة ربما ـــ أن بيغن يعمل على تمييع الموقف برمته ، عن طريق طرح طوفـــان من الجزئيات على طريق المحادثات ، بينماكانت مبادرتك اساسا مبنية على مفهوم : ((الخط المستقيم أقصر طريق بين نقطتين)).

وخلال يناير المثقل بمشاعر القهر والخيبة والألم ، ألغيت مواعيدك وقررت الاعتكاف عشرة أيام، و..وعدت بمفاجـــاة !

وهكذا صرنا أسرى المفاجآت ... مفاجاة تاخذنا الى بعيد ومفاجاة تعود بنا الى حيث كنا . وبعد أن كانـــت السياسة المصرية مشحونـــة بالمفاجـــآت ، صارت المفاجآت سياسة مصرية ! وها نحن بانتظار مفاجاتك الجديدة في ٢٣ يوليو المقبل .

وبعد الاعتكاف ، تبين أن المفاجاة كانت عدم الاعلان عن أية مفاجاة ! لكن تصريحاتك عـــن اسرائيل بدأت تعكس مدى خيبة أملك . واخذت تتحدث عن ((الفطرسة الاسرائيلية)) وعن أن الاسرائيليين لا يفهمـــون معنى السلام القائم على العدل . وانهم يريدون الارض والامن والسيادة وكل شيء !

وفي فبراير ٧٨ ، انعكست الآية ... فقد تدرج تشاؤمك نحو الهبوط ، واخذت نبرة التفاؤل ترن من جديد في تصريحاتك واحاديثك السخية للصحافة وللتلفزيون في العالم ... وكان واضحا أن الولايات المتحدة الاميركية ، وبعض الاصدقاء في أوروبا ، هم السبب .

واذا كنت في يناير ، قد قطعت كل أمل من اسرائيل ، فانك في فبراير قد وضعت الأمل كله في اميركا ، وبدرجة ثانية في أوروبا . وفي المؤتمر الصحفي الذي عقدته بعد اجتماعك مع الرئيس كارتر في كمب ديفيد قلت وانت بادي الغبطة والانشراح ، « اننا يمكن أن نصل الى اتفاق مع اسرائيل في اقل من اسبوع ... »

وبعد ذلك اندفعت أكثر فاكثر في طريق التفاؤل وأكدت عزمك على مواصلة « مهمتك المقدسة » من أجل السلام، وقلت : حتى لو كانت آخر مهمة لي كرئيس للجمهورية فانني سأواصل القيام بها ...

وهكذا كان تفاؤلك وتشاؤمك مثل المد والجزر على شواطىء الخليج في حركة بارزة الوضوح : إما مد يغرق الساحل كله، وإما جزر يبعدالبحر الى حدود الأفق !

... فمعذرة اذن يا سيادة الرئيس إذ لم نعد نفهمك من شهر الى شهر ، واحيانا من أسبوع الى أسبوع .